Innovations Journal of Humanities and Social Studies – Vol 4, No 1, 2026

DOI: https://doi.org/10.61856/t17ev992

Scientific Events Gate

Innovations Journal of Humanities and Social Studies

IJHSS

https://eventsgate.org/ijhss

e-ISSN: 2976-3312

التفكير التأملي في قصص الأنبياء في القرآن الكريم، ودوره في تأهيل الدُّعاة :(قصة إبراهيم عليه السلام أنموذجًا)

د. ولاء بنت حسن مسلم المذكوري

قسم القراءات، جامعة الطائف، المملكة العربية السعودية

walaamob@gmail.com

الملخص: يحتلّ القصص القرآني للأنبياء- عليهم السلام - مكانة بارزة في كتاب الله تعالى؛ إذ يختزن في طيّاته دروسًا عميقة تتجاوز كونها مجرّد سردٍ تاريخي إلى كونها منبعًا للتدبّر والتفكّر. وقد استخدم الأنبياء -عليهم السلام -أساليب عدّة في دعوة أقوامهم إلى توحيد الله وعبادته، كان منها التفكير التأمّلي والأسلوب العقلي، اللذان يُعدّان من الركائز الأساسية لشخصياتهم الدعوية، ويُمثّلان جانبًا جوهريًّا من مراحل دعوتهم للوصول إلى الحقيقة. يهدف هذا البحث إلى: بيان مفهوم التفكير التأمّلي وتأصيله القرآني، مع دراسة تطبيقات هذا الأسلوب في دعوة إبراهيم -عليه السلام - كما وردت في القرآن الكريم، وتوضيح مظاهره وخصائصه، وبيان إمكانية توظيفه في الدعوة إلى الله في واقعنا المعاصر. وجاءت الإشكالية في: ضَعفِ توظيف القصص القرآني في تنمية مهارات التفكير العميق لدى الدعاة، واقتصار التناول غالبًا على الجانب القصصي أو الوعظ منها. وتوصّل البحث إلى: أن التفكير التأمّلي عند إبراهيم - عليه السلام - كان أداةً فعّالة في نجاح دعوته؛ إذ ساعده على فهم طبائع قومه وتحليل سلوكهم واختيار الأساليب الدعوية الملائمة، مثل التأمّل في الكون والظواهر غير المألوفة، واعتماد الحوار العقلي، والنظر العميق في حكمة الله من الابتلاء. ويوصي البحث: باستكمال هذا الموضوع في دراسة موسّعَة تتناول قَصَص الأنبياء الأخرى؛ للإسهام في تطوير المنظور القرآني للتفكير الدّعوي والفكري.

الكلمات المفتاحيّة: التّفكير التّأملي، قصص الأنبياء: إبراهيم عليه السلام، الدعوة.

Contemplative Reasoning in the Prophets' Stories in the Holy Qur'an and its Role in the Call to Islam: The story of Abraham, peace be upon him, is an example.

Dr. Walaa Hasan Al-Mathkuri

Department of Qira'aat, the science of Qur'anic readings, Taif University - Saudi Arabia

walaamob@gmail.com

Received 11|08|2025 - Accepted 16|12|2025 Available online 15|01|2026

Abstract: The Qur'anic narratives of the prophets occupy a distinguished place in the Book of Allah, as they embody profound lessons that transcend mere historical storytelling to serve as a source of reflection and contemplation. The prophets (peace be upon them) employed various methods in calling their people to the oneness and worship of Allah, among which were reflective thinking and rational reasoning—two essential pillars of their prophetic character and fundamental components of their journey toward truth. This study aims to clarify the concept of reflective thinking and its Qur'anic foundations, while examining the applications of this approach in Prophet Ibrahim's (Abraham's) call as depicted in the Qur'an. It further seeks to highlight its features and manifestations, and to explore the potential of employing reflective thinking in contemporary da'wah (Islamic outreach). The problem addressed in this study lies in the limited use of Qur'anic stories to develop deep thinking skills among preachers, as most approaches tend to focus merely on the narrative or moral aspects. The

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/t17ev992

research concludes that reflective thinking in the story of Prophet Ibrahim (peace be upon him) served as an effective tool for the success of his mission, enabling him to understand the nature of his people, analyze their behavior, and select appropriate methods of invitation—such as contemplating the universe and extraordinary phenomena, adopting rational dialogue, and deeply considering the divine wisdom behind trials. The study recommends expanding this topic through a broader examination of other prophetic narratives to contribute to the development of the Qur'anic perspective on reflective and intellectual da'wah.

Keywords: **Reflective Thinking, Stories of the Prophets, Prophet Ibrahim (Abraham), Da'wah (Islamic Call).**

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، منزل الكتاب المبين، رافع أهله يوم الدين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه والتابعين. أما بعد:

فقد مثّل الأنبياء عليهم السلام النموذج الأسمى للدعوة والإصلاح في المجتمعات، مستخدمين في سبيل تحقيق ذلك أساليب عدّة، منها: التفكير التّأمّلي والأسلوب العقليّ، والذي يُعدُّ أحد الركائز الأساسية لشخصيتهم الدّعويّة، ويُعتبرجانبًا جوهريًّا من مراحل دعوتهم؛ للوصول إلى الحقيقة، ومفتاحًا لاستيعاب المنهج النبوي في التعامل مع التحدّيات الدّعوية المختلفة.

ولأن سيرة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام تمثل منعطفًا هامًا في تاريخ الرسالات السماوية، وتُجسّدُ عمليًا هذا النوع من التفكير، فقد وقع الاختيار عليها لتكون أنموذجًا تطبيقيًا لدراسة التفكير التأمليّ؛إذ كانت حياته عليه السلام سلسلةً متصلة من التأمُّلاتِ الكونية التي قادته إلى التوحيد الخالص، والحواراتِ العقلانية مع قومه وأبيه والملك الجبار والتي ألزمتهم بالاعتراف بعجز معبوداتهم، والابتلاءاتِ العظيمة التي أظهرت عمق تفكره وتسليمه لأمر الله، فكل موقف في قصته يحمل في طيَّاته منهجًا دعويًا فريدًا، يحتاج إلى تأمّلٍ عميق لاستخلاص أبعاده.

ثم إن الداعية في مجتمعه اليوم بحاجة ماسّة إلى استلهام هذا الأسلوب، واستحضار التّجربة الإبراهيمية في اعتماده، وإدراك فاعليّته في تحقيق أهداف الدعوة.

اعتمد هذا البحث على المنهج: الاستقرائي، في جمع الآيات المتعلقة بموضوع البحث، والمنهج الوصفي في عرض وبيان المفاهيم البحثية، والمنهج الاستنباطي في استنتاج أسلوب إبراهيم عليه السلام في توظيف التفكير التّأمّلي خلال دعوته، مع بيان خصائص هذا الأسلوب، واستكشاف كيفية استفادة الدعاة منه في تطوير مهاراتهم الدعوية.

وتتمثّل أسئلة البحث الفرضية في الآتي:

1. ما مفهوم التفكير التأملي عند الأنبياء؟
2. هل تُجَسِّد قصة إبراهيم -عليه السلام -صورًا واضحة للتفكير التأمليّ يُمكن تحليلها؟
3. كيف يمكن أن يسهم النموذج الإبراهيمي في تأهيل الدّعاة، وتنمية مهاراتهم، وتطوير أساليبهم الدّعوية؟
4. ما مدى قدرة النموذج الإبراهيمي على إحداث تأثير وجداني وفكري تجاه المدعوين؟

ويهدف البحث إلى الآتي:

1. بيان مفهوم التفكير التأمّلي، واستجلاء أساسه القرآني.
2. الكشف عن مظاهر التفكير التأملي في قصة إبراهيم - عليه السلام - وفق ما وردت في الذكر الحكيم، وتحليل أساليبه الدعويّة.
3. بيان كيفية استفادة الدّاعية المعاصر من النموذج الإبراهيمي في تنمية قدرته على التفكير السليم والنَّظر العميق.
4. رفع كفاءة مهارات الدّاعية الدّعوية، وتحسين أسلوبه في مخاطبة العقول والقلوب، من خلال الاستفادة من الأساليب التأمّلية في دعوة إبراهيم -عليه السلام.

وتكمن أهمية البحث في:

1. الوصول إلى فَهم علميّ رصينٍ لمفهوم التفكير التّأمّلي من خلال تتبّع مواطنه في قصة إبراهيم -عليه السلام.
2. تقديم منهجٍ قرآنيٍّ دعويّ في الحوار والإقناع العقلي مستمدٌّ من تجربة إبراهيم -عليه السلام.
3. إبراز القيمة الدّعوية للتفكير التأملي باعتباره أحد أهم وسائل الإقناع في الدّعوة إلى الله تعالى.
4. الإسهام في تطوير مهارات الدّعاة الفكرية والتربوية من خلال استلهام المنهج الإبراهيمي في الدعوة إلى الله بالحكمة والحجة والبرهان.
5. إثراء الدراسات القرآنية والدعوية برؤية تحليلية للتفكير التأمّلي عند إبراهيم - عليه السلام - تكشف عن دوره المؤثر في تحقيق مقاصد الدَّعوة وفاعليّتها.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/t17ev992

حدود البحث: التفكير التأملي في قصة إبراهيم عليه السلام ضمن النصّ القرآني، دون غيرها من القَصص.

الدراسات السابقة: توجد دراسات كثيرة نظرية وتطبيقية عن التفكير التأملي، بعضها يقيس أثر بعض الأمور أو المقررات الدراسية في تنمية التفكير التأملي عند الطلاب، وبعضها يختبر مدى استخدام بعض الفئات للتفكير التأملي.

ولم أجد مَنْ بَحَثَ التَّفكير التَّأمُّلي في قصص الأنبياء في القرآن، وَأَبْرَزَ خصائصَهُ، وقد وجدت بعض الدراسات التي قد تكون قريبة من موضوع بحثي، وفيما يأتي ذكرها مع بيان الفرق بينها وبين دراستي:

1. بحث مُحكَّم منشور للباحثة الدكتورة حنان منير المطيري (al-Muṭayrī, 2022).
جاء هذا البحث في ثلاثة مباحث: كان المبحث الأول عن مفهوم التفكير التأملي وأساليب دعوة القرآن الكريم إليه، والمبحث الثاني عن مراحل التفكير التأملي ومهاراته لدى الداعية، والمبحث الثالث عن استخدام الداعية لمستويات التفكير التأملي عند دعوته.

الفرق بين بحثي وهذا البحث:
لم يتطرق هذا البحث إلى التفكير التأملي في قصص الأنبياء في القرآن الكريم إلا في حكاية القرآن عن إبراهيم عليه السلام قوله لأبيه: {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً}، [مريم: ٤٢]، وذكرت الباحثة في بضعة أسطر أن هذا أحد أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى التفكير التأملي، وهو أسلوب بنى التفكير على البرهان والدليل والحجة.

أمّا بحثي، فسيتناول أسلوب التفكير التأملي في قصة إبراهيم - عليه السلام - بشكلٍ مستوفٍ.

2. بحث مُحكَّم منشور للباحث يحيى محمد أبو جحجوح . (Abū Jaḥjūḥ, 2011).
الفرق بين بحثي وهذا البحث:
لم يتطرق الباحث إلى التفكير التأملي إلا في بضع صفحات من بحثه من (ص 309) إلى (ص 312)، ذكر فيها ما جاء في القرآن من الآيات الكونية التي تدعو إلى التفكير التأملي، دون أن يتطرق إلى التفكير التأملي في شيءٍ من قصص الأنبياء في القرآن الكريم، وهذا ما أردت القيام به، والتَّأصيل له.
3. بحث منشور للباحث الدكتور عطاف منصور عياصرة (ʻAyāṣirah, (2017).
الفرق بين بحثي وهذا البحث:
لم يتطرق الباحث إلى التفكير التأملي في قصص الأنبياء إلا في فقرة من بضعة أسطر (ص 145)، عندما تحدث في المطلب الثاني عن منهج القرآن الكريم في تنمية التفكير التأملي، وذكر أن من منهج القرآن في ذلك بناء التفكير على الدليل والحجة، واستدلَّ بما ورد في قصة إبراهيم -عليه السلام- في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}، إلى قوله تعالى: {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، [الأنعام: ٧٥-٧٩]، ولم يرجع إلى كلام المفسرين في توضيح ذلك.

منهج البحث اتّبع الآتي:
1. عزو الآيات إلى مواضعها من السور بجانبها.
2. تخريج الأحاديث من الصحيحين، فإن لم يكن، فمن غيرهما من كتب السنة، مع نقل الحكم عليها.
3. عدم الترجمة للأعلام؛ لضيق صفحات البحث.
4. توثيق ما نُقِل نصًّا بين قوسين " ".
5. اتّباع طريقة (APA) في توثيق النقول.

وسار البحث وفق الخطّة التّالية:
المبحث الأول: مفهوم التفكير التأملي، وتأصيله القرآني.
المطلب الأول: مفهوم التفكير التأمّلي.
المطلب الثاني: التأصيل القرآني للتفكير التأملي.
المبحث الثاني: مظاهر التّفكير التّأمّلي في قصة إبراهيم - عليه السلام- وخصائصه.
المطلب الأول: مظاهر التّفكير التّأمّلي في قصة إبراهيم- عليه السلام.
المطلب الثاني: خصائص التّفكير التّأمّلي في قصة إبراهيم- عليه السلام.
المبحث الثالث: دور التّفكير التأمّلي في تأهيل الدعاة.
المطلب الأول: المنهج الإبراهيمي في إعداد الداعية.
المطلب الثاني: الصّفات الدّعويّة المؤثرة المستمدّة من شخصية إبراهيم- عليه السلام.
فاللهم ثبّت أقدام أقلامي على الحق، ولا تزلّ بمدادها عن سبيل الرُّشد.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/t17ev992

المبحث الأول: مفهوم التفكير التأملي، وتأصيله القرآني.

المطلب الأول: مفهوم التفكير التأمّلي.

أولًا: مفهوم التفكير التأمّلي باعتباره مُرَكّبًا.

التفكير التأمليّ مصطلحٌ مركّبٌ من كلمتين:

1. التفكير في اللغة: مشتقٌ من مادّة (فَكَر)، وهو تردد القلب وإعمالُه في الشيء، قال (Ibn Fāris, 1979, 4/446) : "الفاء والكاف والراء أصلٌ يدلُّ على تردد القلب في الشيء، يقال: فكَّر في الأمر تفكيرًا إذا ردّد النَّظر فيه".

وفي الاصطلاح: "تَصَرُّفُ القلب بالنظر في الدليل". (al-Jurjānī, 1983, 54).وجاء بمعنى: إطلاق الفِكرِ وإعمالُ العقلِ في المعلوم؛ للوصول إلى معرفة المجهول. (Ibrāhīm et.al., D. t., 2/968).

التأمّل في اللغة: مأخوذٌ من (أَمَلَ)، بمعنى التثبّتُ والانتظار، أو التثبّتُ في النَّظر، أو إعادة النظر في الأمر مرّة بعد أخرى ليستيقنه. (Ibn Fāris, 1979, 1/140, Ibrāhīm et.al., D. t., 1/27). وهو أخصّ من النَّظر العام؛ لأن التأمّل يتضمَّن التفكير بتمعّن في أمرٍ ما بقصد الفهم والاعتبار، فكلُّ تأمّلٍ نَظر، وليس كلُّ نظرٍ تأمّلًا، قال (al-Rāghib al-Aṣfahānī, 1979, 4/446) : "التأمّل التثبّت في النَّظر الموجب للاعتبار".

وأما في الاصطلاح، فهو استعمال الفكر وتدقيق النظر في الكائنات بغرض الاتّعاظ والتّذكّر. (al-Kaffawī, D. t., 1/287, Ibn Ḥamīd et.al., D. t., 3/843).وتأمل القرآن بمعنى: "تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفِكر على تدبرّه وتعقّله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرّد تلاوته بلا فهم ولا تدبّر، قال الله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ}، [ص: 29]". (Ibn al-Qayyim, 1996, 1/449).

يظهر من خلال ما تقدّم أن لفظتي التفكير والتأمّل ذاتَ معانٍ متقاربة، ولكن هذا التّقارب لا يعني أنهما بمعنى واحد دائمًا عند إطلاقهما؛ إذ بينهما فَرقٌ دقيق، فلكلٍّ منهما معنى تتفرَّد به؛ إذ التأمّل يصحَبُه ديمومة النَّظر واستمراره، بخلاف التفكّر، إضافة إلى أن التّأمّل عملٌ بصريٌّ متأنٍّ يعقُبه التّفكّر للوصول إلى طمأنينة القلب، في حين أن التفكّر عملٌ قلبيّ عقليّ يهدف إلى اكتساب معرفةٍ ما عن طريق النظر في الأدلة الواقعة والمشاهدة، وقد فرّق (Ibn Qayyim, D. t., 1/181) - رحمه الله- بينهما؛ إذ قال: "وهذه معانٍ متقاربة تجتمع في شيء وتتفرّق في آخر، ويسمّى تفكّرًا؛ لأنه استعمال الفكرة في ذلك وإحضاره عنده...ويسمّى تأمّلًا؛ لأنه مراجعة للنّظر كرّةً بعد كرّةٍ حتى يتجلّى له وينكشف لقلبه".

ثانيًا: مفهوم التفكير التأمّلي باعتباره عَلَمًا.

تطرّقت العديد من الأبحاث والدراسات إلى مفهوم التفكير التأمّلي، وتنوّعت مفاهيمه، بحسب الاتجاه الذي يسير فيه الباحث:

ففي الاتجاه التربوي، عرّفه (al-Aṭrash, 2016, 8) بأنه: "نشاطٌ ذهني هادف يقوم به الفرد عند مواجهته لمشكلة معينة، أو تخيّله لموضوع ما، بهدف تعرّف المواقف التعليمية، فيمارس خلالها بعض المهارات العقلية المتمثّلة في: التأمّل والملاحظة، والكشف عن المغالطات، والوصول إلى استنتاجات، وإعطاء تفسيرات مقنعة، ووضع حلول مقترحة للوصول إلى حلول للمشكلة".

وفي المجال الدّعوي، عُرّف بأنه: "العملية العقلية التي يقوم من خلالها الداعية بمعالجة واستحضار الخبرات، والأفكار، والمعارف، والمعلومات السابقة، وإعادة تحليل وتشخيص وتفسير ومعالجة المواقف والتجارب الحالية له وللآخرين، بما يمكّنه من تكوين خبرة جديدة تساعده على تجاوز المشكلات التي تعترضه في طريق الدعوة، وتعينه على توصيل رسالته الدعوية، وإقناع المتلقّي بها في ضوء توجيهات القرآن الكريم". (Ḥanān, 2022, 59).

كما عُرّف بأنه: "التفكير الذي يُتعمَّق فيه بالنظر في الأشياء، ويدرس مكوناتها بشكل تخيّلي، يُصاحبه عمليات الملاحظة والتفسير والاستنتاج؛ للوصول إلى نتيجة معيّنة تُضاف إلى خبرات الشّخص السّابقة". (al-Kubaysī, 2017, 19).

من خلال استقراء التعاريف المتقدّمة وغيرها، نلحظ أنها متفقة فيما بينها على كونِ التفكير التأملي: عمليةٌ عقليّةٌ واعِيَةٌ ومنظّمة، تسيرُ في خطواتٍ متسلسلة، مبنيّةٌ على فَهم وتحليل الظواهر والمواقف، بغرض الوصول إلى قراراتٍ حكيمة.

في حين نجد أن القرآن الكريم قدّم تصورًا أعمق وأوسع للتفكير التأمّلي؛ إذ لم يجعله مقتصرًا على الجانب العقليّ وحدَه، بل أعملَ القلب معه، فالقرآن الكريم يُخاطب الإنسان بأن يجمع عقله وقلبه في تدبّر آيات الله الكونية والشرعية بُغيةَ الوصول إلى معرفةٍ واعية، تقوده لترسيخ الإيمان، وتحقيق الهداية، يقول تعالى: {أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها}، [محمد: 24]. إذًا فالمفهوم القرآني قائم على التكامل بين الجانب العقلي، والجانب الرُّوحي والإيمانيّ، الأمر الذي يُفتقَر إليه في المفهوم البشري.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/t17ev992

من هنا يُمكن صياغة تعريف لمفهوم التفكير التّأمّلي في قصص الأنبياء في القرآن الكريم بأنه: منهجٌ إيمانيّ فِطريّ، وعمليةٌ عقليّةٌ روحيّة، يُمارِسُها الأنبياء عليهم السلام، من خلالِ تدبّر آيات الله الكونية والشرعية، وفَهمِ طبيعةِ أقوامِهم وسُلوكيّاتِهم، واستخلاص العِبَر من تاريخ الأمم الماضية، يُكسِبُهم ذلك بصيرةً نافذة تُوصِلهم إلى اليقين المطلق، وتُمكّنُهم من اختيار الأسلوبِ الأمثلِ والأكثرُ فاعليّةٍ في دعوة الناس، واتّخاذِ قراراتٍ حكيمة ذات بُعدٍ مستقبليّ تهدفُ إلى إصلاح الأمّةِ في حاضرها ومستقبلها.

المطلب الثاني: التأصيل القرآني للتفكير التأملي.

يُعَدُّ التفكير التأملي من صميم المنهج القرآني؛ إذ وردت مئات الآيات التي تدعو إلى إعمال العقل، وتَحُثُّ على النّظر بعينٍ فاحِصة، وقلبٍ واعٍ في آيات الله الكونية، والشّرعية، وحال الأمم السابقة، مستخدمًا في سبيل ذلك أسلوبًا متنوعًا بين الألفاظ الصّريحةِ والمباشرةِ في بعضها، والمعنى الضّمني غير المباشر في بعضها الآخر، فمن الألفاظ المباشرة:

1. التّفكّر، نحو قوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، [آل عمران: 190]. وقوله: {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}، [الأعراف: 176].
2. التّدبّر، نحو قوله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ}، [محمد: 24]، وقوله: {كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ}، [ص: 29].
3. النّظر، نحو قوله تعالى: {أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}، [الغاشية: 17]، وقوله: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}، [العنكبوت: 21].
4. التّبصر، نحو قوله تعالى: {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ}، [الذاريات: 20]، وقوله: {هذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ، أَفَسِحْرٌ هذا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ}، [الطور: 14، 15].
5. الاعتبار، نحو قوله تعالى: {فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ}، [الحشر: 2]، وقوله: {لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ}، [يوسف: 111].
6. التّعقُّل، نحو قوله تعالى: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ} [الأنعام: 32]، وقوله: {لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ كِتاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ}، [الأنبياء: 10].
7. التّفقه، كما في قوله تعالى: {قُلْ هُوَ الْقادِرُ عَلى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآياتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ}، [الأنعام: 65]. وقوله أيضًا: {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ}، [الأنعام: 98].

أمّا أسلوب القرآن غير المباشر في الدعوة إلى التفكير التأمّلي، والذي يُفهم من خلال سياق الآيات، جاء في نحو قوله تعالى: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها، رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها، وَأَغْطَشَ لَيْلَها وَأَخْرَجَ ضُحاها، وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها، أَخْرَجَ مِنْها ماءَها وَمَرْعاها، وَالْجِبالَ أَرْساها، مَتاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ}، [النازعات: 27_32]. وفي نحو قوله: {أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ}، [النمل: 60].

وممّا تَجدُر الإشارة إليه في هذا السّياق أن لفظ (التّأمُّل) في القرآن الكريم لم يرِد صراحةً، ولكن أُشيرَ إليه في عددٍ من الآيات الّتي تأمر بالنّظر في خلق الله في الكون والأنفس، وآثارِ السّابقين، مقترنةً بالأفعال (يروا، ينظروا) بصيغة المضارع الّتي تدلّ على الاستمرار وإدامة الرّؤية أو النّظر. (Ibn Ḥamīd et.al., D. t., 3/846).

ومن خلال تصفحنا لكتاب الله، والتوقّف مع نظير الآيات المتقدّمة، نجد أن التفكير التّأمّلي يتجلّى لنا في صورٍ متعددة، أبرزها:

أولًا: التأمّل في آيات الله الكونية، يقول تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}، [آل عمران: 190]، تُمثّل هذه وما بعدها منطلقًا أصيلًا للتفكير التأمّليّ؛ ولذلك فإن النبي- صلى الله عليه وسلم- توعّد من لم يتدبرها، بقوله: " لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا"، أخرجه في صحيحه (Ibn Ḥibbān, 1993, raqm : 620)، وحسّنه (al-Albānī, 1995, raqm : 68)، وهذا النوع من التّفكير التأمّلي طريقٌ إلى إدراك المَرءِ أنّ لهذا الكون خالقًا عظيمًا، فيزداد حبًا له، وخشيةً منه.

ثانيًا: التّأمّل في تكوينِ النّفس الإنسانية، فنجد القرآن يدعو الإنسان إلى النّظر في أصل خلقه وتكوينه، إذ يقول: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرائِبِ} [الطارق: 5_7]، ويقول:{وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ} [الذاريات: 21]، وكيف أودع فيه حواس الهداية، ومفتاح العلوم "السّمع، والبصر، والفؤاد"، قال تعالى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[النحل: 78]، كما يُلفت نظره إلى إكرامه عن بقية الكائنات بالعقل، وجَعلِه مميّزًا مُختارًا لطرق الخير والشر، قال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 7-10]، فمعرفة الإنسان بذاته، وإدراكه لماهيته، تزيده تواضعًا لله، ووعيًا بمسؤولياته.

وهذا النوع وسابقه من التفكير يقود إلى معرفة الله، والإيمان به، والخضوع له، يقول تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}، [فصلت: 52].

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/t17ev992

ثالثًا: التّأمل في آيات الله الشرعية، فقد حثّ الله عباده في كتابه العزيز في أكثر من موضع على تدّبر معاني آياته، وإدراك مقاصدها العظيمة، قال جلّ ثناؤه: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها}، [محمد: 24]، فالقراءة دون فَهم وإدراك، وإن كان مما يُثاب عليها فاعلها، إلا أنها لا تُحقّق المقصد الأسمى الذي من أجله أنزل الله كتابه، فعدم التفكّر يَعقُبه ترك العمل بهداياته وإرشاداته، الأمرُ الذي يُورِث قسوة القلوب وغفلتها، والمرء متى أعرض عن تدبر آيات القرآن، فقد أغلق قلبه عن إيصال نور الهدى له.

رابعًا: التّأمل في أحوال الأمم الماضية ومصيرها، دعا القرآن في أكثر من موضع إلى قراءة أحداث التاريخ الغابرة، والتفكير في عاقبة الأمم السابقة، فيقول سبحانه: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}، [آل عمران: 137]، الأمرُ الذي من شأنِه فَهم سنن الله في الحياة، والتّعلم من التجارب، وعدم تكرار أخطاء السابقين، وهذا إنما يحظى به صاحب الفكر الواعي، يقول تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأولِي الأَلْبَابِ}، [يوسف: 110].

خامسًا: التّأمُّل في حقيقة اليوم الآخر، وهذا إنما يأتي نتيجة للتفكر في مظاهر الحياة الدنيا من: فناءِ الخَلقِ وتجدّدِهم، إنباتِ النّبات بعد الجفاف، إحياءِ الأرضِ بعد موتها، زوال الحضارات وقيام أخرى، موت المظلوم دون إنصافه، وعيش الظالم دون عقوبة، يقول تعالى: {فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ}، [الروم: 50]. ويقول سبحانه: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}، [القلم: 35، 36]، من هنا يَستدل الإنسان عقلًا وتأمّلًا على أن هذه الحياة ليست إلا مقدّمة لحياة أخرى أبديّة تنتظره، حياة حقيقية قائمة على العدل الإلهي المُطلق، يقول تعالى: {وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} ،[العنكبوت: 64]، فيُدرك حينها الغاية من وجوده، ويرسّخ في قلبه الإيمان بالبعث والجزاء، مما يدفعه إلى إحسان عمله، يقول تعالى: {أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى، أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى، ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى، أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى}، [القيامة: 36_40].

خاطب القرآن العقل البشري بأساليبَ متعددة تُحفّزه على التّفكير والتّأمّل، منها: السؤال، والمقارنة، والحوار الجدلي، وضرب المثل، وسيتناول البحث إيضاح بعض تلك الأساليب في المبحث القادم.

التفكير التأملّي عبادة عقلية تقود إلى الإيمان القلبي المبني على البرهان، لا على التّقليد الأعمى، فحين يوظّف المرء عقله توظيفًا سليمًا، فسيوصله بالضرورة إلى الإيمان، وهذا ما يتجّلى معناه في حديثه عن أولي الألباب: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}، [آل عمران: 191]. فالتفّكر في آيات الله عبادة، وهي من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكّروا بها، عرفوا أن الله لم يخلقها عبثًا، بل خلقها بالحقّ، وللحقّ، ومشتملة على الحقّ، فَلَهجت ألسنتهم بتنزيه ربهم عن كل مالا يليق بجلاله. (al-Sa‘dī, 2000, 161). وفي المقابل نجد أن تعطيلَ الفِكر نوعٌ من الغفلة يؤدي إلى عمى البصيرة، ومن ثَمّ إلى ضعف الإيمان أو فقده، حتى يؤول بصاحبه إلى الكُفر والضّلال، يقول تعالى: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}، [الملك: 10]، وقد ندّدَ الله تعالى بالذين لا يستفيدون من أبصارهم، وأسماعهم، وأفئدتهم، حيث وصفهم بأن لهم نَظرٌ غافِل، وسَمعٌ مُعطّل، وقلبٌ أعمى عن الفهم والإدراك، يقول تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}، [الأعراف: 179].

نخلص إلى أن ثَمّ علاقةٌ وثيقةٌ بين التفكير التأمّلي، والإيمان القلبي، فهما حقيقتان متلازمتان لا يُستغنى بأحدهما عن الآخر، وكلٌّ منهما مُكمّلٌ للآخر، وسائقُه إليه، وباجتماعهما معًا يُحققانِ المعرفة بالله والخشية منه، والهداية إلى الصراط المستقيم، وتهذيب النفس وتزكيتها، فالتفكير الهادف سبيلٌ إلى الإيمان الحقّ، والإيمان باعثٌ على دوام التفكّر والاعتبار، والتفكير الذي لا يقود للإيمان تفكيرٌ ناقص، والإيمان الذي لا يقوم على التفكّر والتدبّر إيمانٌ ركيك لا يَصمُد أمام الشّبهات.

المبحث الثاني: مظاهر التّفكير التّأمّلي في قصة إبراهيم -عليه السلام- وخصائصه.

المطلب الأول: مظاهر التّفكير التّأمّلي في قصة إبراهيم عليه السلام.

أولًا: النّظر في الظواهر الكونية للوصول إلى الحقيقة.

لما كان قوم إبراهيم -عليه السلام- يعبدون الكواكب، أراد أن يثبت لهم فساد ذلك عن طريق النظر والاستدلال، قال تعالى: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، [الأنعام: 76_ 79]، فاحتج عليهم بأُفول وغياب الكواكب النيّرات الثلاث ؛ ليصِل معهم إلى أن شيئًا منها لا يستحقّ أن يكون إلهًا؛ لكون الأُفولِ مَغيبٌ وابتعاد عن الناس، وشأن الإله الحقّ أن يكون دائم المراقبة لتدبير شؤون عباده، لا يعتريه التغيير كحال الأجرام السماوية. (al-Zamakhsharī, 1987, 2/40, Ibn ‘Āshūr, 1984, 7/973).

جسّد هذا المشهد التفكير التأمّليّ في أوضح صوره، حين سلك إبراهيم - عليه السلام- مع قومه في سبيل إبطال ربوبية الكواكب، والاستدلال على وحدانية الله، منهج التدرّج في النظر إلى الكواكب، ومنها إلى القمر، ومنه إلى الشمس، بعين الباحث عن الحقيقة، لا المقلّد، حتى انتهى به الأمر إلى أن جاهر بالنتيجة التي وصل إليها، {يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ}، [الأنعام: 78].

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، أن قول إبراهيم -عليه السلام- عن الأجرام الفلكية الثلاثة {هَذَا رَبِّي}، مجاراةً ومحاجّة لعبّادها، بدليل قوله تعالى بعدها: {وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ}، [الأنعام: 80]، أما قلبه فممتلئ يقينًا وجزمًا بعدم ربوبية غير الله تعالى.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/t17ev992

يقول (al-Rāzī, 2000, 13/41) : "أراد عليه السلام أن يبطل قولهم بربوبية الكواكب، إلا أنه عليه السلام كان قد عَرَف من تقليدهم لأسلافهم، وبُعدِ طباعهم عن قبول الدلائل، أنه لو صرّح بالدعوة إلى الله تعالى لم يقبلوه ولم يلتفتوا إليه، فمال إلى طريق به يستدرجهم إلى استماع الحجة، وذلك بأن ذكر كلامًا يوهم كونه مساعدًا لهم على مذهبهم بربوبية الكواكب مع أن قلبه صلوات الله عليه كان مطمئنًا بالإيمان".

ثانيًا: الحِوارُ العقليّ مع قومه في كشف عجز معبوداتهم من كل وجه.

سأل إبراهيم عليه السلام قومه عن ماهيّة ما يعبدون، مع علمه بأنهم عُبّاد أصنام؛ ليريهم أنّ ما يعبدونه لا يستحقّ العبادة، قال تعالى: {إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ما تَعْبُدُونَ * قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ}، [الشعراء: 77/70]. فهو لم يفتتح المجادلة معهم بتوبيخهم أو الإنكار عليهم، وإنما ألقى عليهم سؤالًا مفتوحًا {ما تَعْبُدُونَ}، يدعوهم من خلاله إلى مراجعة أفكارهم، وإثارة التفكير الذّاتي لديهم، فجاء الجواب من قبلهم مُلَبّسًا بثياب التّباهي والتفاخر بتعيين نوع معبوداتهم: نعبُدُ أصنامًا، ونداوم على عبادتها في أكثر أوقاتنا، حينها تابع إبراهيم- عليه السلام- الحوار معهم بالحجّة العقلية، فألقى عليهم استفهامًا إنكاريًا - بغرض التّبكيت - عن حال هذه الأصنام، هل تسمع دعاءكم، فتستجيبه؟ وهل تنفع أو تضر؟ إذ إنَّ شأن الإله الحقّ أن يُلجَأ إليه في الحاجة، وأن ينفع أو يضرّ، فأقرّ القوم أن تلك الصفات غير موجودة فيها، ولهذا لما حطّم إبراهيم - عليه السلام - أصنامهم جميعًا إلا كبيرها؛ حتى إذا رجعوا إليه تبيّن أنه عاجز لا ينفع ولا يضر، وأنهم في عبادته على جهل عظيم، ثم أشار عليهم بتوجيه السؤال للأصنام عن فاعل ذلك بهم إن كانت تنطق، فقالوا: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ}، [الأنبياء: 65]، نفوا عنها القدرة على النّطق، واعترفوا بعجزها، عندها أقام إبراهيم- عليه السلام - الحجَّة عليهم، وألزمهم بها.

فلمّا لم يجد القوم ما يدفعون به الحجّة، عدلوا إلى دليل التّقليد، {قَالُوا، بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ}، فهم في عبادتهم الأصنام تبعٌ لنهج آباءهم الأوّلين؛ وما ذلك إلا لإقفال باب الجدال في صفات معبوداتهم، ولم يكتفوا بذلك، بل أخذتهم العِزّة بالإثم، قائلين: {حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ}، [الأنبياء: 68]، وهذا ديدن كل طاغية جهول، يلجأ إلى استعمال العنف والبطش ضد خصمه إذا عجز عن مواجهته بالحجّة.

وأمام هذا التقليد الأعمى، والقوة الغاشِمة، يُعلن إبراهيم عليه السلام عداونه لهم ولمعبوداتهم الباطلة، معلنًا أمامهم أن عبادته إنما هي لله تعالى وحده، فيقول: {أَفَرَأَيْتُمْ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ* أَنْتُمْ وَآباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعالَمِينَ}. (al-Zamakhsharī, 1987, 3/317, Ibn Kathīr, 1999, 5/350, alss‘dy, 2000, 592, Ibn ‘Āshūr, 1984, 19/139). أمام هذا الحوار العقلي تبرز إحدى صور التّفكير التأمّليّ: إلزام الخصمِ بالحجّة، من خلال تسلسل عددٍ من الأسئلة التحليلية، تقوده لكشف الحقيقة بنفسه.

ثالثًا: الجَدل المنطقيّ مع الملك النّمرود؛ لإثبات بطلان ادّعائه الألوهية.

واجه إبراهيم- عليه السلام- طغيان الملكِ النمرود في ادّعائه الألوهية، بأسلوب جَدلٍ منطقيّ، قام على الأدلة والبراهين العقلية، فبدأ معه من النقطة التي يدّعِي النَّمرود امتلاكها، وهي القدرة على الإحياء والإماتة، فقال إبراهيم مناظرًا له: {رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ} [البقرة: 258]، فإيداع الحياة في الكائنات، وسلبها منها قدرة إلهية خالصة، لا ينازعه فيها أحد.

حينها لجأ النّمرود إلى الحيلة في تزييف معنى القدرة على الإحياء والإماتة، قائلًا: {أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ}، [البقرة: 258]، آمرُ بقتلِ من أردت، وأعفو عن آخر فأتركه حيًّا. حي، فأدركَ إبراهيم- عليه السلام- من خصمه تمويهًا وتلاعبًا بالدليل، وكان باستطاعته أن ينهي المناظرة، ويبطل قوله، بأن ما ادّعاه ليس من الإحياء والإماتة المقصودين بالاحتجاج، ولكنه آثر ترك باب الجدال والمحاورة مفتوحا، فأتاه بحجّةٍ دامغةٍ لا يملك القدرة أمامها على التّمويه، {فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ}، [البقرة: 258]، فهذه الشمس أمامك تطلع كل يوم من المشرق، فإن كنت إلهًا كما ادّعيت، تحيي وتميت، فأت بها من المغرب، عندئذٍ عجز النّمرود عن معارضة هذا الدليل؛ إذ علم من نفسه ألا قُدرة له على تحريك الأفلاك، {فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ}، [البقرة: 258]، غُلِب، وانقطع جداله، فلم يستطع أن يتكلّم، وكان ذلك بمثابة الاعتراف الضّمني بالعجز عن مواجهة حجّة إبراهيم-

عليه السلام- (Ibn Kathīr, 1999, 1/686, al-Sa‘dī, 2000, 955, Ṭanṭāwī, 1998, 1/594). وهنا يتجّلى التّفكير التأمّلي من خلال الجَدَل المنطقيّ الهادف، المستند على الأدلة العقلية، الذي من شأنه إلزام الخَصم بالاعتراف ببطلان ادّعائه.

رابعًا: التأمّل في كيفية البعث والإحياء.

حين أَحبَّ إبراهيم- عليه السّلام- أن يترقى بإيمانه بقدرة الله على الإحياء والإماتة، وصحّة البعث والنشور من مرتبة علمِ اليقين، إلى عين اليقين، خاطب ربه معترفًا بربوبيّته: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى}، [البقرة: 260]، فهو عليه السلام لم يكن في حاجة إلى أدلة للوصول إلى اليقين، إذ هو مؤمنٌ بقدرة الله المطلقة، ولهذا فإن طَلَبه وسؤاله ذاك عن الكيفية، وليس عن الإمكانية، وقد أكّد القرآن هذا حين سأله الله عن سبب طلبه: {قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ}، [البقرة: 260]، فجاء جوابه: {بَلَى}،

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/t17ev992

[البقرة: 260]، دالّا على رسوخ إيمانه، ثم أعقبه بتوضيح الغاية من طلبه: {وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}، [البقرة: 260]. أي: ولكن ليزول عن قلبي الفكر في كيفية الإحياء، فمتى شاهدتُ الكيفية، سكن قلبي عن الجولان في كيفياتها المتخيّلة، وتعيّنت عندي الصُّورة الحقّة. (al-Qurṭubī, 1964, 3/299, Ibn al-munīr, 1966, 1/392).

وقد قطع النبي- صلى الله عليه وسلم- كذلك مداخل هذا الوهم بقوله: " نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ"، أخرجه في صحيحه (al-Bukhārī, 2001, raqm : 3372, wa-Muslim, raqm : 151), ومعنى ذلك: "أن الشّك في إحياء الموتى لو كان متطرقًا إلى الأنبياء، لكان صلى الله عليه وسلم أحقَّ به من إبراهيم - عليه السّلام- وهو أسلوب قصد به صلى الله عليه وسلم، استحالة وقوعه في حقّ إبراهيم- عليه السلام- كاستحالة وقوعه منه صلى الله عليه وسلم، وهو من باب التواضع والأدب (al-Suyūṭī, 1996, 1/137).

وقد أجابه الله بإجراء تجربة واقعيّة على الطير، {فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}؛ ليشهد بعينه ما كان يؤمن به قلبه، فيتحقق عنده العلم الكامل، الذي جمعَ بين الإيمان القلبي، والعقل المتفكّر المتأمّل الذي يسعى إلى فهم أعمق للسنن الكونية.

هذا الموقف أبرز التفكير التأمّلي من جانب مختلف، إذ ليس بالمعنى الدّراج الذي هدفه الوصول إلى الحقيقة من خلال مشاهدة الأدلة، ولكنه تفكيرٌ تأمّلي قائم على التجربة والمشاهدة، هدفه زيادة طمأنينة القلب ويقينه، وترسيخ الإيمان وتقويته.

خامسًا: التأمّل في الغاية والمعنى من الابتلاء.

واجه إبراهيم- عليه السلام- حينَ رأى ذبح ابنه إسماعيل- عليه السلام- في المنام، صراعًا نفسيًا رهيبًا بين أمرين: امتثال أمر الله بذبح ابنه، وعاطفة حُبُّ الأبوّة الفطري لابنه، لا سيّما وقد جاء بعد سنوات عجاف، هذا الصّراع يتطلّب تفكيرًا تأمليًّا للوصول إلى قرار حكيم، ولهذا فقبل أن يُقدم على ذبحه أخبره بشأن الرؤيا: {يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى} [الصافات: 102]، وسؤاله لم يكن مشاورةً لابنه في تنفيذ الأمر من عدمه، وإنما نابعٌ من تفكيرٍ تأمليّ تربويّ، هدفه تهيئة الابن نفسيًا وروحيًا، والتفكير معًا في كيفية تنفيذ الأمر برحمة وعقلانية، وإشراك ابنه في فَهم الحكمة من الأمر الإلهي، ليصل من خلال ذلك إلى معرفة موقف ابنه، هل هو من الصابرين المستسلمين لأمر الله، فَيُسرُّ لأجل ذلك، أو لا.

أدرك إسماعيل عليه السلام أنه مع أباه أمام ابتلاء عظيم، يكشف عن صدق الإيمان، وكمال التسليم، وأن الأمر الإلهي بالتّضحية ليس غايته مجرّد الذبح، وهذا الذي جعله يستقبل الأمر بنفس راضية مطمئنة، قائلًا: {يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}، [الصافات: 102].

كما أدرك إبراهيم بعقله المتأمّل، وقلبه المؤمن أن وراء الأمر بذبح ابنه - بعد أن وهبه الله إيّاه على كِبر- حكمة ورحمة، فالله أرحم من أن يجعل نبيًّا يزهق روح ولده، ففطن أن هذا اختبار عظيم لقوة إيمانه، وصدق طاعته، وأن محبة الله في قلبه يجب أن تعلو محبة أي شيء آخر، وإن كان أقرب الناس إليه، من أجل ذلك سارع عليه السلام في تنفيذ الأمر بيقين كامل، رغم كونه مخالفًا للعقل والعاطفة البشرية.

وبعد أن بلغ التسليم من قلبهما أعلى مراتبه: {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ}، [الصافات: 103]، فأسلم إبراهيم قلبه لأمر ربه، وأسلم إسماعيل روحه لله، وهانت عليه في طاعة ربه، ورضا والده، جاء الفرج من الله: {وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ* وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}، [الصافات: 104_107]، فعوّض الله إبراهيم عن ابنه بذبح من الغنم عظيم. (al-Ṭabarī, 2000, 21/75, al-Sa'dī, 2000, 706).

أفادت قصة التضحية العظيمة أن من مظاهر التفكير التأملي: تجاوز ظاهر الابتلاءات، وإدراك ما وراءها من حِكمٍ ورحمات إلهية، من شأنها أن تكون وسيلة لزيادة الإيمان، ورفع المنزلة عند الله.

سادسًا: التأمّل في الظّواهر غير المألوفة.

في قصة قدوم الملائكة إلى إبراهيم- عليه السلام- {وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ}، [هود: 69، 70]، لاحظ عليه السلام سلوكًا غير مألوف، وهو امتناع ضيوفه عن الأكل بعد أن عرضه عليهم برفق {أَلَا تَأْكُلُونَ}، [الذاريات، 27]، فلم يتسرّع في الحكم عليهم أو الانفعال، ولم يتجاهل سلوكهم، وإنما أخذ في تأمّل الموقف وتفسيره، واكتشاف حقيقة هؤلاء الضيوف؛ إذ العُرف أنه متى قُدِّم للضّيف الطّعام بادَر بالأكل، فكرامة الضيف تعجيل التقديم، وكرامة صاحب المنزل المبادرة بالقَبول.

وبناء على ردة الفعل استنتج إبراهيم- عليه السلام- أنهم ليسوا بشرًا عاديين، {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً}، [الذاريات: 28]، خاف أن يكون وراءهم شرٌّ ومكروه.

وحين لاحظ الضيوف ما خالجه عليه السلام من الخوف والوجل، أخبروه بحقيقتهم، وغرض مجيئهم، وأنهم مرسلون من قِبل الله بالبشرى، والنذارة، {لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ}، [الحجر: 53]، {لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ}، [هود: 70]، حينها تحوّل خوفه عليه السلام إلى فَهمٍ للموقف، وبدأ في مجادلتهم بشأن قوم لوط - عليه السلام- كما بيّنته الآيات بعد ذلك. (al-Qurṭubī, 1964, 9/65).

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/t17ev992

هذا الموقف يكشف حِسّ إبراهيم- عليه السلام- التأمّليّ والتحليلي في تفسير الأحداث الخارجة عن المألوف قبل إصدار ردِّ فعلٍ عاطفيّ أو انفعاليّ.
كما نستلهم من هذا الموقف أن التفكير التأملي المبني على الملاحظة الدقيقة، والتحليل المنطقي، يكشف عن الظواهر غير المألوفة، ويسعى إلى تفسيرها، ومن ثَمَّ الوصول إلى استنتاج منطقي لها.

سابعًا: التأمّل العقليّ الإيمانيّ في قدرة الله الخارقة للعادة.
حين بُشِّرَ إبراهيم عليه السلام بالولد (إسحاق عليه السلام) أدرك هو وزوجه أن الأسباب المنطقية للحمل والإنجاب غير متوفّرة لديهما، فإبراهيم عليه السلام بلغ من العمُر عِتيًّا، وزوجه سارة كذلك، مع كونها عاقرًا، ولذلك فإن تعجّبهما واندهاشهما في أوّل الأمر طبيعيًا؛ فهو من منظورٍ بشريّ في ربط الأسباب بمسبّباتها، حيث قال: {أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ}، [الحجر: 54]، وجاء على لسان سارة قولها: {يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا}، [هود: 72]، وقولها أيضًا: {عَجُوزٌ عَقِيمٌ}، [الذاريات، 29]، ومع هذا فإن سؤاله وتعجّبه عليه السلام لم يكن شكًا في قدرة الله تعالى؛ إذ كان يعلم يقينًا أن الله على كل شيء قدير، وأن قدرته سبحانه فوق كل سبب، وإنما كان سؤالًا نابعًا من تفكّر في الأسباب بغرض الفهم، لا الاعتراض، يقول (al-Qurṭubī, 1964, 10/36): "استبعَد الولد لكِبَر سِنّه، لا أنه قنط من رحمة الله تعالى"، ولهذا نجده عليه السلام بعد تفكّرٍ وتأمّلٍ توصّل إلى أن رحمة الله وقدرته لا يحدّها عُمُر ولا سبب، وذلك يظهر في قوله: {وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلا الضَّالُّونَ}، [الحجر: 56]، فدفع عن نفسه أن يكون يائسًا؛ إذ القنوط من صفات الضالّين، الذي يتنافى مع جوهر الإيمان الذي يدعو إلى الأمل، وحسن الظنّ بالله في جميع الأحوال.
هذا الموقف ابتدأ بتساؤل عقليّ، وانتهى بإيمانٍ قلبيّ، ويقينٍ كامل بقدرة الله. هذه النقلة من التفكير إلى التسليم هي ثمرة التفكير التأمليّ الناضج، الذي يجمع بين الأخذ بالأسباب، مع الإيمان بأن مسبّبها الحقيقي هو الله وحده.

ثامنًا: العمق الفِكري في دعائه.
المتأمّل في دعوات إبراهيم- عليه السلام - المبثوثة في آي القرآن، يُدرِك عمق تفكيره، وشمول نظره، وحكمة مقصده، فتجاوزت دعواته ذاته، لتشمل ذريته وأمته من بعده، بل والإنسانية جمعاء، وسأبرهن على ذلك من خلال ذكر نماذج من دعواته:

1. الدعاء بإخلاص التوحيد، في قوله: { وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ* رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [إبراهيم: 35-36], طلب عليه السلام من ربه حمايته وذريته من آفة الشرك وعبادة الأصنام؛ إذ افتتن بها، وابتلي بعبادتها كثير من الناس. نلحظ أن دعاءه نابعٌ من تفكير مستقبليّ في مصير الإيمان بين الأجيال المتعاقبة، ولهذا شمل دعاءه ذريته من بعده، يقول (Ibn Kathīr, 1999, 4/513): "ينبغي لكل داع أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته". كما أنه نابعٌ من وعيٍ بضعف النفس البشرية، وقابليتها للانحراف مهما بلغت من العلم والصّلاح، ولهذا سأل ربه أن يجنّبه عبادة الأصنام رغم كونه موحّدًا لله. (al-Saʿdī, 2000, 426).
2. الدعاء بالأمن ورغد العيش، في قوله: { رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ}، [البقرة: 126]، سأل إبراهيم ربه أن يجعل مكةَ بلدًا آمنًا من الخوف والآفات، وأن يرزق المؤمنين من أهله من أنواع الثمرات ما يسد حاجاتهم، ويغنيهم عن الاحتياج إلى غيره - سبحانه- جاء دعاؤه- عليه السلام- جامعًا بين الأمن والرزق، إدراكًا منه بكونهما من الأسس المادّية والمعنوية لازدهار المجتمعات، والتي لا تستقيم بدونها، وأن الرسالة النبويّة لن تبلغ غايتها إلا في ظل الطمأنينة القلبية، والاستقرار الماديّ. (al-Saʿdī, 2000, 66).
3. الدعاء بصلاح النفس والذرية، واستمرار العبادة فيها، في قوله: {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنا وَتَقَبَّلْ دُعاءِ}، [إبراهيم: 40]، وقوله: {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ}، [الصافات: 100]، يتجلّى لنا أن دعاءه - عليه السلام- يعكس تفكيرًا تأمليًا عميقًا، بعيد المدى؛ إذ لم يقتصر على نفسه، بل أشرك ذريته معه، فسأل ربه أن يجعله مقيمًا للصلاة وملتزمًا بالعبادات، وذرية صالحة تسير على نفس النّهج، ويبقى أثرها حيًّا عبر الأجيال، كما أنه لم يطلب من ربه الذرية لمجرد الإنجاب، بل دعا بذرية صالحة تحافظ على الإيمان، وتلزم العبادة، فهو دعاءٌ جمع بين صلاح الذات، وصلاح الذرية، مما يُورث امتداد الطاعة والخيرِ عبر الأجيال.

وقد استجاب الله دعاءه، قال تعالى: {وَكُلًّا جَعَلْنا صالِحِينَ}، [الأنبياء: 72]، أي: وكلًا من إبراهيم وأبنائه، جعلناه صالحًا عاملًا بطاعة الله. (al-Qurṭubī, 1964, 11/305).

4. الدعاء بطيب الأثر، وحُسن الذِّكر، وحُسنِ الثّواب، في قوله: {وَاجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ}، [الشعراء: 84، 85]، طلب عليه السلام من ربه أن يجعل له في الدنيا ذكرًا وثناءً طيّبًا بين الناس يُذكَر به، ويُقتدى به في الخير إلى يوم القيامة، كما سأله أن يكرمه في الآخرة بدخول جنته، وما ذلك إلا لإدراكه أهمية القدوة الحسنة، وأن الأثر الحقيقي للإنسان لا ينقطع بموته الجسديّ. (Ibn Kathīr, 1999, 6/147).

إن دعوته عليه السلام تعكس تفكيرًا تأمليًّا تجاوز حدود الدنيا الفانية، جمع بين طلب استمرار الأثر الطيّب عند الناس في الدنيا، وبين ثواب الجنة في الآخرة.

5. الدعاء بجعل مكة بقعة تهفو إليها قلوب البشر، وتُجلب إليها خيرات الأرض، في قوله: "رَبَّنا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ، رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ"، [إبراهيم: 37]، فحينَ أسكن إبراهيم - بأمر من الله- زوجه هاجر وابنه إسماعيل- عليهم السلام- في مكان

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/t17ev992

موحش، لا زاد فيه ولا بشر، دعا ربه أن يجعل مكة بلدًا تسير إليه الناس شوقًا ومحبّة، ويرزق أهله من الثمرات ما يُغنيهم، وقد استجاب الله دعاءه، فنرى مكة اليوم عامرة بالزوار والمعتمرين والحجاج، تشتاق إليها أرواح العباد، وتحنُّ إليها ولو ترددتْ عليها كل عام، وتُجلب لها الثمرات والأرزاق من كل مكان، يقول تعالى: {أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا}، [القصص: 57]. (Ibn Kathīr, 1999, 1/413, al-Sa'dī, 2000, 427).

دعاء إبراهيم عليه السلام- هنا- نتاج تفكير تأمّليّ ، جعله يُدرك أن اختيار الله لهذا المكان سكنًا لذريته لم يكن عبثًا، وإنما لحكمة عظيمة ستتجلّى في قادم الأيام، كما أظهر فهمًا عميقًا لحاجات الإنسان الروحية والنفسية والاجتماعية، ومتطلبات الحياة الكريمة، مراعيًا تقديمه الأولويّات، (إقامة الصلاة، ثم جلب القلوب، ثم الرزق)، فقدّم الغايات الروحية على الحاجات المادية، فجعل العبادة أولًا؛ لأن صلاح الدين هو أساس صلاح الدنيا، ولأن الرزق نتيجة للإيمان والعمل الصالح، يقول تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}، [الأعراف: 96].

يقول (al-Ṭanṭāwī, 1998, 7/567): "دعاءٌ جامعٌ لمطالبِ الدّين والدنيا، لأن الناس يذهبون إلى البيت الحرام للتقرب إلى الله تعالى، وليتبادلوا المنافع عن طريق التجارة وغيرها مع السكان المجاورين لهذا البيت المعمور".

6. حمدُ الله على نعمة الولد، في قوله: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ}، [إبراهيم: 39]، حمدُ إبراهيم- عليه السّلام- ربَّه على أن وهبه إسماعيل وإسحاق، تجاوز حدود اللسان إلى القلب والفِكر، فجاء نابعًا من قلبٍ مُفكّر، وتأمّلٍ عميق في قدرة الله ورحمته التي تجاوزت الأسباب البشرية، ومن استشعارٍ لحكمة الله في توقيت العطاء، وإدراكٍ لعظيم أثر هذه النِّعمة في حياته، ومستقبل أمته، (alss'dy, 2000, 427): " فهِبتُهُم من أكبر النعم، وكونهم على الكِبَر في حال الإياس من الأولاد نعمة أخرى، وكونهم أنبياء صالحين أجل وأفضل".

إذًا: حمده عليه السلام نعمة ربه تواطأ عليه القلب واللسان، واستشعر فيه معنى النّعمة، وعظمة المُنعِم، فكان أبلغ في الشُّكر.

7. الدعاء بالمغفرة، في قوله: {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ}، [إبراهيم: 41]، ربَط إبراهيم- عليه السلام- طلبه المغفرة بيوم القيامة، إدراكًا منه لعظمة يوم القيامة وهول موقف الحساب والجزاء، والحاجّة الماسة للمغفرة فيه، فبدأ بطلب المغفرة لنفسه؛ هضمًا لها، وشعورًا بالتقصير، ثم ثنّى بالوالدَين- قبل أن يتبيّن له أنه عدوٌّ لله- لعِظم حقهما حتى بعد موتهما، ثم شمِل دعاءه المؤمنين عامّة الأحياء منهم والأموات؛ بدافع الرباط الإيمانيّ.

الدعاء بهذا الترتيب، يعكس عند إبراهيم- عليه السلام- اعتبارَ فقه الأولويّات، وفهمًا عميقًا، ووعيًا شاملًا بمسؤولياته الفردية والاجتماعية أمام الله.

المتأمل في دعواته- عليه السلام- يُدرك أنها دعواتٌ ذات مقاصدَ رشيدة، تجمع صلاح الدِّين والدنيا، وتراعي مصلحة الإنسان في مختلف جوانب حياته وبما يضمن تحقيق العبودية لخالقه.

المطلب الثاني: خصائص التّفكير التّأمّلي في قصة إبراهيم- عليه السلام.

خلال هذه المظاهر المتقدّمة تتجلّى جملة من الخصائص الفكرية والمنهجية للتفكير التأملي عند إبراهيم- عليه السلام- يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

أولًا: التحرر من التقليد.

وهو من أبرز خصائص تفكيره عليه السلام؛ إذ رفض التّبعيّة، ولم يقبل الموروث الديني السّائد لقومه في عبادة الأصنام والكواكب دون برهان ودليل عقليّ، بل أعلن توجّهه العقدي بشجاعة وثبات أمام أبيه، وقومه، والملك النمرود، بعد رحلة تأمّل عميقة في ملكوت السماوات والأرض، بكلماتٍ جامعة مانعة: {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، [الأنعام: 79]. ولم يخشَ تبعات ذلك من التهديد بالإلقاء في النار: {حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ}، [الأنبياء: 68]. إذاً: التّحرر من القيود الفكرية، والعادات السائدة أساس التفكير التأملي؛ إذ لا يمكن أن يتأمّل من هو أسير المألوف.

ثانيًا: التَّدرج المنطقيّ في عرض الفكرة وإبطالها.

اتبع إبراهيم عليه السلام في حواره مع قومه لإبطال عبادة الكواكب، منهجًا عقلانيًا تدريجيًا، راعَى فيه واقع قومه، ومستوى تفكيرهم، فبدأ بالكوكب، ثم القمر، ثم الشمس، ثم أعلن النتيجة النهائية المنطقية التي لا تقبل الجدل: {يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ}، [الأنعام: 78].

وهذا منهجٌ تأمّليٌ تربوي لكل داعيةٍ ومُربٍّ، يُعلّمنا استخدام المنطق والتدرّج واللطف في مخاطبة العقول؛ للوصول إلى قناعات ذاتية، بدلًا من فرضها عليهم.

ثالثًا: إثارة التفكير عند الآخرين.

استخدم إبراهيم- عليه السلام- الحوار الهادئ في مواجهة الباطل، فلم يكن يجادل بعنف، ولم يلجأ للهجوم اللفظي في اتهامهم بالضّلال مباشرة؛ إذ ليس الغرض مجرّد الغلبة، أو الانتصار الشخصي، ولهذا فقد سلك منهج الحوار البنّاء القائم على السؤال الاستكشافي؛ لإيقاظ ضمائر قومه، وإثارة تفكيرهم، فمثلًا حين سأل قومه عن إمكانية سماع أصنامهم أو مقدرتها على جلب النَّفع أو دفع الضُّر، كان غرضه زرع الشّك في العقل دون صدام، وعندما واجهوه غاضبين حين حطّم أصنامهم، وترك

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/t17ev992

كبيرهم، بقي هادئًا، وقدّم لهم حجة دامغة: { بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ}، [الأنبياء: 63]، مستهدفًا دفعهم للحوار، وإعمال عقولهم.
هذا الأسلوب هو الذي دفع قومه للاعتراف بضعف آلهتهم- ضِمنًا- وإبطال فكرة ألوهيتها كليًّا، وهو من أنفع أساليب الدعوة التأملية.

رابعًا: الانتقال من التأمّل العقليّ إلى البرهان العملي.
تجّلت هذه الخاصيّة في طلب إبراهيم عليه السلام من ربه رؤية كيفية إحيائه الموتى، إذ حوّل تفكّره وتأمّله العقلي في خلق الله وآياته على قدرته تعالى على إحياء الموتى، إلى تجربة عملية تُزيد إيمانه، فأراه الله البرهان العملي حين أحيا له الطّيور الأربعة أمام عينيه، فاطمأنّ قلبه، وازداد يقينًا بعظمة خالقه، وقدرته على إحياء الموتى، فكان إيمانه نابعًا من تفكّر نظري، وتجربة محسوسة مشاهدة. هذا الموقف يرشدنا إلى أن طلب الدليل العملي لزيادة الطمأنينة واليقين أمر مشروع لا حرج فيه، ولا يتنافى مع الإيمان. (al-ʻUthaymīn, 2002, 3/303)
كما جسّد موقف تحطيم الأصنام هذا الانتقال- أيضًا، فبعد أن أقام إبراهيم- عليه السلام- الحجة العقلية على بطلان عبادة الأصنام، بأسلوبٍ حواريّ هادئ، طرح من خلاله أسئلة عديدة من شأنها إثارة تفكير قومه وتأمّلهم في جدوى عبادتهم، أيقن أن الحوار العقلي لا يُجدي وحده أحيانًا لإقناعهم، فقرر الانتقال من مستوى التأمّل والحجة العقلية إلى البرهان العملي، فاستلّ فأسه وحطّم الأصنام، ليظهر لهم عجزها عن حماية نفسها، هذا البرهان العمليّ ألزم القوم بإعادة التفكير، فاعترفوا وقتها بعجز آلهتهم: {فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ}، [الأنبياء: 64].
في هذين الموقفين إشارة إلى أن الانتقال من التأمّل العقلي إلى البرهان العملي، والتجربة المحسوسة، سبيل إلى زيادة الإيمان واليقين من جانب، وسبيل إلى إظهار الحق، وإلزام الخصم به من جانب آخر.

خامسًا: الحوار الجامع بين قوة الحُجّة، ولين الخِطاب.
تميّز أسلوب إبراهيم- عليه السلام- في دعوته بالحوار المتوازن المبني على حجج قوية، والمغلّف بالكلمة الطيبة والرفق في الأسلوب، والذي نتج عنه إفحام قومه، وإلزامهم بالاعتراف بالحق ولو في قرارة أنفسهم، وقد برز استعماله لذلك عند مناقشته أباه وقومه بشأن عبادتهم الأصنام، حين استخدم أسلوبًا عقليًّا منطقيًا، كما تقدم، وفي الوقت نفسه التزم الرفق والاحترام في حواره معهم، لاسيّما عند مخاطبته والده، حيث كرر نداءه لأبيه بلفظ "يا أبت" في أربع آيات متتالية في [مريم: 42_45]:
{يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا* يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا}، يهدف بذلك عليه السلام، إقناع العقول، وكَسْب القلوب، وأن الهداية لا تتحقق بغلظة القول، وشدّة الخطاب.
إن الحوار البنّاء يتطلّب الجمع بين قوة الحجّة، ولين الخِطاب، فالحجة القوية دون رفق تُنفّر القلوب، والرفق في القول دون برهان لا يُقنع العقول، وبهذا التّوازن ستؤتي الدّعوة أُكُلَها.

سادسًا: التّلازم بين العقل والإيمان.
امتاز تفكير إبراهيم- عليه السلام- التأمّلي بالجمع بين العقل الباحث عن الحقيقة، والإيمان القلبي الصّادق، يظهر ذلك من خلال تأمّله- عليه السلام- في مظاهر الكون؛ ليهتدي إلى معرفة خالقها، وطلبه تجربةً حسّيّةً مشاهدة في كيفية إحيائه الموتى؛ ليزداد إيمانًا مع إيمانه، فيرتقي إلى مرتبة الطمأنينة القلبية.
هذان الموقفان خيرُ برهان على التّلازم بين العقل والإيمان، إذ التفكير الحكيم جعل من العقل طريقًا للإيمان، ومن الإيمان نورًا وبصيرة يهدي العقل إلى الحق.

سابعًا: التوازن بين الدّين والدُّنيا.

يُعدُّ هذا التوازن سمةً بارزة من تفكير إبراهيم- عليه السلام- التأمّلي، سخّر حياته لعبادة الله وحده، والدّعوة إلى توحيده متحمّلًا المشاقّ في سبيل تحقيقه، وعلى الجانب الآخر نجده قائدًا سعى في عمران الأرض، فشارك في بناء بيت الله الحرام مع ابنه إسماعيل، وأبًا صالحًا اهتم ببناء أسرته؛ إذ سأل ربه ذرية صالحة قام على رعايتها؛ ليكونوا نَواة لأمةٍ مسلمة.
ثم إن عمارة الأرض مرتبطة بالمقصد الديني؛ إذ كان هدفه الأول أن يكون البيت الحرام مركزًا للعبادة وإقامة الصلاة: {إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ}، [إبراهيم: 37].
وعندما أوكله الله إمامة الناس: {إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي}، [البقرة: 124]، طلب منه استمرارها في ذريته، فكانت مسؤولية عُظمى تجمع إدارة الدّين والدنيا معًا. يقول (Ibn ʻĀshūr, 1984, 1/704) : " فيكون قد سأل أن يكون في ذريته الإمامة بأنواعها من رسالة وملك وقدوة على حسب التهيؤ فيهم، وأقل أنواع الإمامة كون الرجل الكامل قدوة لبنيه وأهل بيته وتلاميذه".
كما جسّدت دعواته هذا التوازن أيضًا، فكانت جامعة بين خيريّ الدنيا والآخرة- وقد بيّنا جانبًا من ذلك في المطلب السابق- مراعيًا الربط بينهما من جانب، كما في قوله: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}، [البقرة: 126]، فربط الأمن والرزق- وهما من ضروريات الدنيا- بالإيمان، ومراعيًا ترتيب الأولويات من جانب

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/t17ev992

آخر، حين قدّم إقامة الصلاة في دعائه على طلب الرزق وجلب القلوب لبلده وأهله؛ لأن استقامة الإنسان في عبادته تنعكس على أمن ورخاء حياته.
إذًا: التوازن بين الدين والدنيا أساسٌ لحياة متكاملة، ولنا في إبراهيم- عليه السلام- قدوة؛ إذ أظهر لنا أن صلاح الدنيا وبركتها منشؤه صلاح العبادة، جاعلًا من كل عملٍ دنيويّ عبادة وطاعة لله.

المبحث الثالث: دور التفكير التأمّليّ الإبراهيمي في إعداد وتأهيل الدعاة.

النّظر في سيرة إبراهيم عليه السلام، وشخصيته الدّعوية، يكشف عن مجموعة من القِيم والمهارات الفكرية والسّلوكية التي تُسهم في إعدادِ داعيةٍ إبراهيمي من خلال تزويده بمنهج متكامل لا يقتصر على عرض الأدلة والبراهين، وإنما يهدف إلى بناء قناعةٍ ذاتيّةٍ مستندةٍ إلى حُجج عقلية، وحوارٍ جدليّ منطقيّ، ويمارس مبدأ الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، مع التحّلي بالحلم، والصّبر والثبات في مواجهة التحدّيات، ومن هذا المنطلق، سيتمُّ تناول هذا الدّور المحوريّ من خلال مطلبين اثنين:

المطلب الأول: المنهج الإبراهيمي في إعداد الداعية.
من أبرز الأسس المنهجية المستوحاة من التفكير التّأمليّ عند إبراهيم عليه السلام، والتي تُمكّن الداعية من بناء منهجه الدّعوي على هديها، ما يلي:
أولًا: منهجية بناء القناعة الذاتية للوصول إلى اليقين.
يُعلّم إبراهيمُ عليه السلام الدّاعيةَ أن أولَى خطواتِ رحلته الدّعوية- قبل دعوة الآخرين- تبدأ من نقطة التّساؤل والبحث عن الحقيقة بنفسه، ورفض التّبعية الفكرية؛ ليمضيَ قُدُمًا وهو على بصيرةٍ تامّة، وقناعةٍ راسخةٍ مبنيةٍ على دليلٍ عقليّ بشأن صحة ما يدعو إليه، قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي}، [يوسف: 108]، يقول (al-Saʻdī, 2000, 406): "على بصيرة من ديني، أي: على علمٍ ويقينٍ من غير شكٍّ ولا امتراءٍ ولا مرية".
هذه القناعة من شأنها أن تمنح الدّاعية شجاعةً وقوةً وثباتًا أمام ما سيلاقيه من عقباتٍ، كتوجيه الاتهامات، والنقد اللاذع، والسخرية، تمامًا كالتي مُنحها إبراهيم عليه السلام، لمواجهة ملكًا جبّارًا، ومجتمعًا بأكمله، وما ذلك إلا بفضلِ قناعةٍ تامّةٍ بصدق دعوته، منشؤها ومبدؤها تأمّله للكون، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}، [الأنعام: 75].
ومن جانب آخر يُعلمنا عليه السلام أن الدّاعية لا ينبغي له عرضَ رسالته كأمرٍ مُسَلَّمٍ به، بل يعرضها كحقيقةٍ مدعومةٍ بالمنطق والعقل مطلقًا لتفكير من يخاطبهم العَنان، بهدف دفعهم للتخلّي عن التقليد الأعمى، والوصول إلى الحقيقة عن قناعاتٍ سليمة قائمة على العقل والبرهان. وهذا ما فعله إبراهيم- عليه السلام- إذ لم يفرض حقيقة قصور معبودات قومه عليهم، وإنما أظهر بطلان عبادة الكواكب لهم من خلال حُجّة الأُفول والغياب، وبطلان عبادة الأصنام من خلال عجزها عن حماية نفسها.

هذا المنهج هو ما يحتاجه الدّاعية قبل دعوة الآخرين؛ لبناء قناعاتٍ راسخةٍ لا تتقاذفها الشّبهات، ولدفع من يدعوه إلى الاعتراف بالحق عن طريق التّأمل الذاتي، والتّحفيز العقليّ الذي يُرسّخ الحقيقة في قلبه.

ثانيًا: منهجية الحوار بالحجّة العقلية، والجدل المنطقي.
يسير الدّاعية على خُطى إبراهيم عليه السلام، في كيفية دحضه الأفكار الباطلة معتمدًا استخدام الحجة العقلية، فعندما واجه قومه، ومَلِك زمانه، لم يكتفِ بالإنكار، بل حاورهم وخاطب عقولهم، مقدمًا الأدلة القاطعة على بطلان معبوداتهم، وألوهية الملك، فقدّم دليل العجز للأصنام التي لا تنفع ولا تضر، ودليل التغيّر والمغيب للأجرام السماوية؛ ودليل تغيير مطلع الشمس، ليصل بهم إلى الإيمان بالله وحده.
هذا المنهج يُعلّم الدّاعية القدرة على توجيه الحجة إلى نقطة الضّعف عند الخصم، وإفحامه بدليل قاطع، لا يملك حياله إلا السكوت والبهتان.

ثالثًا: منهجية التنوّع والتدرّج في الأسلوب الدّعوي.
الداعية الناجح يستلهم من إبراهيم - عليه السلام - في دعوته منهجًا حكيمًا قائمًا على التدرّج، وتنوع الأساليب، وذلك نتيجة تفكّر وتأمل لفهم طبيعة المدعوّين، فنجده متنقلًا من أسلوب الحوار اللين مع والده، إلى أسلوب الحجة العقلية مع قومه، ثم الحجة العملية، إلى أسلوب التحدّي والمواجهة مع الطاغية النمرود، إلى أسلوب القدوة العملية مع الناس عامّة، مراعيًا في ذلك التدرّج في إقناعهم، إذ لم يبدأ بإنكار مباشرٍ لمعتقداتهم الباطلة.
هذه المنهجية تُعلِم الداعية أهمية التدرج في الدعوة، وأن إيصال الحق يحتاج إلى مراحل من التفكير والوعي لا دفعة واحدة، كما تكسبه مهارة أن يكون مبدعًا في طرح دعوته وأساليب إقناعه، مجتهدًا في صياغة أساليب تناسب المَقام والمُخاطَب، فيوازن بين العقل والعاطفة، مما له الأثر البالغ في نجاح دعوته.

رابعًا: منهجية الثّبات على الحقّ أمام الشّدائد والابتلاءات.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/t17ev992

الثّبات الإبراهيمي يجعل الدّاعية على تصوّر بأن طريق الدعوة محفوف بالمخاطر، ويمنحه الثّبات على المبدأ في وجه الأذى، وأمام كل ما يُقابله من تحديات في سبيل دعوته، فقد واجه إبراهيم- عليه السلام- أصعب المواقف أثناء دعوته، لكنه لم يتزعزع؛ لإيمانه النابع من التأمل في قدرة الله ووعده له بالخلافة والتمكين: {إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً}، [البقرة: 124].
فقد ثبت أمام الرفض القاطع للاستجابة لدعوته من قِبل أسرته ومجتمعه، والحامل معه تهديدا بالرَّجم والطَّرد من قبل والده: {لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا}، [مريم: 46]، والحرق بالنار من قِبل قومه: {ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ}، [الصافات: 97].
وحين ترك أرضه وموطنه ثبت قائلًا: {إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}، مقولةٌ نابعةٌ من يقينٍ راسخٍ بأن من توكّل على الله كفاه.
وتجلّى ثباته العظيم حين امتحانه بذبح ابنه إسماعيل- عليهما السلام- وإنه والله لابتلاء قاسٍ في أشدِّ ما يُحب، لكنه أبدى تسليمًا كاملًا لأمر الله، وما ذاك إلا نتيجة لإيمانٍ عميق بحكمة الله وعدله.

هذه المواقف كفيلة بأن تُرسّخ منهجًا أصيلًا في نفس الداعية، بأن الثبات في طريق الدعوة لا يتحقّق إلا حين يمتلئ القلب يقينًا بوعد الله، وثقة في نصره لعباده الصّالحين، كما تربّي الداعية على الاستعداد للتضحية وبذل أغلى ما يملِك من أجل استمرار دعوته، فالتّضحية طريق التّمكين والرّفعة.

خامسًا: منهجية القدوة العملية.

إن القدوة العملية عند إبراهيم- عليه السلام- صورةٌ ناطقة للتفكير التأمليّ، إذ حوّل تأمّلاته إلى أفعالٍ تعبّديّة، وسلوكٍ إصلاحيّ ملموس في حياة الداعية والمجتمع
محطاتٌ عديدة في حياته- عليه السلام- تظهر أن الدّعوة لا تقتصر على القول والحوار فحسب، بل تمتدُّ إلى الفعل والسلوك الذي يُجسّد الإيمان، من ذلك: الثباتُ على الحقّ، تحطيم الأصنام؛ لإعلان التوحيد، الصبر على أذى قومه وتهديهم، الهجرة وترك الوطن والأهل فرارًا بالدين، الاستسلام والانقياد لأوامر الله في ترك زوجه وابنه الرضيع بوادٍ غير ذي زرع، وفي الاستعداد للتضحية بابنه، رفع قواعد بيت الله الحرام. كلها أفعال دعويّة عمليّة، رسمت منهجًا للدعاة في كل زمان، بأن الدّعوة لا تؤتي ثمارها إلا حين تتمثّل في سلوك وشخصية الدّاعي، يقول تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ}، [الممتحنة: 4]

المطلب الثاني: الصّفات الدّعويّة المؤثرة المستمدّة من شخصية إبراهيم عليه السلام.

أولًا: التوكّل على الله عزّ وجلّ.

حقيقة التوكّل: صدقُ اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفع المضارّ من أمور الدنيا والآخرة كُلِّها، وتحقيق الإيمان بأنه لا يُعطي ولا يمنعُ ولا يَضرُّ ولا ينفع سواه. (Ibn Rajab, 2004, 3/1266),وقد أمر الله به في مقام الدّعوة، فقال: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}، [التوبة: 129].
التوكّل على الله: صفة جوهرية لنجاح الدّعوة، وثبات الدّاعية، وقد كان إبراهيم- عليه السلام- من أعظم الأنبياء توكّلًا على مولاه، وهو ثمرة تفكيره التأمّلي في قدرة الله وحكمة تدبيره، فحين ألقاه قومه في النار، فوّض أمره إليه، ولسان حاله يلهج: "حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ"، أخرجه (al-Bukhārī, 2001, raqm : 4563), فكانت النار بردًا وسلامًا، وترك أهله في أرض قاحلة بلا زاد؛ ثقةً في تدبير الله، ويقينًا تامًّا بأن الله لا يُضيّع أولياءه، فمن رحم ذلك الموقف تفجّر زمزم، ونشأت مكة، وحين ترك أهله ووطنه؛ فرارًا بدينه، أعلن لقومه توكّله وتفويض أمره إليه: {إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ}، [الصافات:99]، فكانت هجرته فتحًا جديدًا للدعوة في أرضٍ أصلح لعقيدته، وبابًا لرزقه ذرية صالحة، جعل فيهم النبوة. (al-Zamakhsharī, 1987, 4/53) تلك المواقف بمثابة مدرسة عمليّة لتعليم الداعية الاعتماد الكامل على الله عز وجل، والثقة المطلقة به سبحانه حتى في أحلك الظروف، وأن الدعوة مهمة ربانية لا تتمُّ إلا بعون الله وتوفيقه، فمن كان مع الله، كان الله معه.

ثانيًا: الصَّبر والثَّبات على المبدأ.

يستمدّ الداعية قوّة الصَّبر والثَّبات من خلال التأمّل في تجربة إبراهيم عليه السلام، والنظر في الأسباب التي دفعته إلى أن يبقى صامدًا صابرًا أمام أنواعٍ من الابتلاءات والتحدّيات. فصبر على طول الطريق وقلة المستجيبين، وصبر على أذى قومه وعداوتهم المعنوية والجسدية، وصبر على التضحية بولده، كلها اختباراتٌ ربّانية، أدرك من خلالها أن وراءها تربية إيمانية، يُمحّصُ بها نفوسهم، ويرفع بها درجاتهم، ويعدّهم لمقاماتٍ أعلى وأرفع، فكانت الثّمرة أن اختاره الله إمامًا للناس.

فعلى الدّاعية أن يعلم بأن مسيرة الدّعوة محفوفةٌ بالابتلاءات، وأن الصّبر والثّبات في سبيل الحق نهج الأنبياء عليهم السلام، وهما طريق التّمكين وبلوغ الإمامة في الدين، قال تعالى: {وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا}، [السجدة: 24]. (Ibn Kathīr, 1999, 1/686).

ثالثًا: الرّحمة واللّين والرّفق.

لين قلب الدّاعية من أعظم أسباب إقبال المدعوّين عليه، وفي المقابل غلظة القلب سبب لنفورهم مهما أوتي من القدرات، قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}، [آل عمران: 159].

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/t17ev992

وعلى الرغم من وضوح حجج إبراهيم- عليه السّلام- وقوّتها، والتي كانت كفيلة بإذابة الجمود الفِكريّ لدى قومه، إلا أنه ظلّ هيّنًا ليّنًا مترفّقًا في حواره معهم؛ إدراكًا منه أن القلوب مفتاحها طيب الكلمة لا شدّتها، وقد جسّد هذا المبدأ في حواره مع أبيه عندما دعاه إلى التوحيد، فقال: {يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا}، [مريم: 42]، فقدّم نداءه الحنون بلفظ: "يا أبتِ"، قبل عرض نصيحته؛ لتقع موقعها في قلب والده، فتحرّك عاطفته، ويُقبل على سماعه. يقول (al-Zamakhsharī, 1987, 3/18) : "انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطًا فيه من الخطأ العظيم، والارتكاب الشنيع الذي عصا فيه أمر العقلاء، وانسلخ عن قضية التمييز، كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة، واللطف، والرفق، واللين، والأدب الجميل، والخلق الحسن".

لكنّ أباه قابل ذلك بجفاء، وهدّده بالقتل، وأمره بهجره، والابتعاد عنه زمنًا، لكنه- عليه السلام- عذر أباه في إساءته، وقابل ذلك بإحسان، {سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي}، [مريم: 47]، حيث ودّعه بسلامٍ، وظلّ يستغفر له حتى تبيّن له أنه عدوٌ لله. (Abū Zahrah, 9/4651).

كما أن إقناعه لقومه ببطلان عبادة الكواكب قام على المبدأ ذاته، فاستخدم معهم أسلوبًا قائمًا على الحوار العقلاني الهادئ المتدرّج، لا على السّخرية والتّهكّم، دفعهم من خلاله إلى مراجعة أنفسهم، إلا أن المكابرة دفعتهم للبقاء على شركهم، حينها تأمّل عليه السلام في مصير قومه، وأشفق عليهم لما ينتظرهم من سوء المصير، ولهذا لم يطلب الهلاك لمن عصى منهم، وحاد عن طريقه، وإنما أوكلهم إلى مغفرة الله ورحمته، فقال:{فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، [إبراهيم: 36]، وليس معنى ذلك أنه يطلب الغفران لمن أشرك بالله، وإنما معناه: أنه يرجو الرحمة لمن عصاه ابتداء ألا يستمر على عصيانه وشركه. (Abū Zahrah, 8/4037).

فعلى الداعية أن يتّصف بالرفق والرحمة مع مخالفِه، داعيًا بالحكمة والموعظة الحسنة، وجاعلًا نَصب عينيه أن الكلمة الطيّبة تفتح مالا تفتحه الحجة الصّارمة، فالحكمة ليست في معرفة ما يقوله، بل في معرفة كيف يقوله؟ .

رابعًا: حُبُّ الخير للناس، وامتداده في الذّريّة والإنسانية جمعاء.

وهي من أجمل الصّفات الدّعوية الإبراهيمية، والتي تدلُّ على عظيم الحسّ الإنسانيّ وعُمقه، وقد تجلّت في دعائه عليه السلام: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ}، [البقرة: 129]، لم يكتفِ عليه السّلام بإصلاح قومه، وبنيه المباشرين، وإنّما رَغِب في عمارَة الدّين في الحال والمستقبل، وامتداد الهداية والصّلاح للأجيال من بعدِه، فسأل ربه أن يرسل للأمة رسولًا من ذريته، يقرأ عليهم آيات كتابه، ويبيّن معانيه، ويعلمهم الحكمة والسنة، ويطّهر قلوبهم من رجس الشرك، وأخلاقهم من الرّذائل، وقد استجاب الله دعاءه، إذ بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم، فكان رحمة من الله لذريّته- عليه السلام- خاصة، ولسائر الخلق عامّة. (al-Rāzī, 2000, 4/58, al-Sa'dī, 2000, 66).

هذه الدعوة نابعةٌ من قلبٍ رحيم، وناشئة عن تفكيرٍ تأمّليّ عميق في مستقبل الدَّعوة، وحاجة الأُمَّة المستمرة إلى الوحي، والتعليم، والتّزكية.

ومتى امتلأ قلب الدّاعية إخلاصًا وحُبًّا في نفع الناس وهدايتهم، انشرحت له قلوبهم، وربما استجابوا له طوعًا؛ لأن النفس تميل بطبيعتها لمن يحبّها بصدق، كما تمنحه تلك المحبة طاقة تدفعه للاستمرار حتى مع وجود العقبات.

خامسًا: التَّضحية.

ضرب إبراهيم- عليه السّلام- للدّاعية أروع الأمثلة للتّضحية بأعزّ وأغلى ما يملك، وجسّد مفهومها في أبهى صورها، فضحّى بنفسه حين أمر قومه بإلقائه في النار، واختار الثّبات على الحقّ على أن يتنازل عن عقيدته ودعوته، وضحّى بوطنه وأهله فرارًا لله بدينه، وبلغت ذروة تضحيته حين هَمَّ مُقدِمًا على ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام؛ ممتثلًا في ذلك لأمر ربه تعالى، تلك التّضحيات نتاج إيمانٍ ويقين راسخ بوعد الله وعدله وحكمته، وحصيلة تفكيرٍ تأمّليّ عميق بأن كُلَّ ما يُترك لله يُعوَّض أضعافًا، وهذا ما جعله يَقدُمُ وقلبه ثابتٌ مطمئنّ، فأثمرت بفضل الله بركاتٍ لا تُحصى، تجاوزت زمانه، ليمتدّ أثرها شاملًا أممًا وأجيالًا متعاقبة، فصار أبًا للأنبياء، وإمامًا يقتدي به رسولنا- صلى الله عليه وسلم- وأمته، قال تعالى: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا}، [النحل: 123]. (al-Sa'dī, 2000, 451).

إن التّضحية ليست محصورةً في بذل النفس أو المال، بل تشمل بذل الوقت، والجُهد، والرّاحة في سبيل تحصيل المقصود، وعلى الدّاعية أن يُدرك أن دعوته لن تُحقّق الأهداف المرجوّة دون تقديم وبذل كل ما هو غالي ونفيس في سبيلها، وليسِر مطمئنًا بأن ذلك لن يذهب سُدى، فكل ألمٍ وحزن ودمعة في سبيل الإصلاح تُكتب في ميزانه، وستثمر بإذن الله هداية ونورًا في القلوب، ونصرًا وتمكينًا ولو بعد حين، قال تعالى: {إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}، [الأعراف: 128].

إن تتبّع صفات الدّاعية الإبراهيمي يُملِي علينا أن نسطّر بعض النماذج لشخصياتٍ دَعويَّة معاصرةٍ تجلّت فيها تلك الصفات، وشكلّت امتدادًا حيًّا وعمليًا لمنهج الخليل إبراهيم عليه السلام، الأمر الذي من شأنه أن يؤكّد قابلية تطبيق المنهج الإبراهيمي في العمل الدّعويّ المعاصِر، وفاعليّته في تحقيق مقاصد الهداية والصّلاح في ظلّ ما نعايشه من تحوّلاتٍ اجتماعية، وتحدّيات فكرية.

فمن أبرز هؤلاء الدّعاة:

الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، إذ تجلّى في سيرته جانب الرّفق والرحمة، فكان ليّن الجانب، حَسُن الخُلق، متواضعًا في تعامله، يستقبل الناس ببشاشة، ولا يردُّ سائلًا، ورغم فقده لبصره إلا أنه ظلَّ معطاءً في التعليم والدّعوة، ومعروفًا بشدة

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/t17ev992

حبه الخير للناس، إذ بذل عمره في نصحهم، والشفاعة لهم، ومساعدة المحتاجين منهم، وتوجيه المخطئ بالحكمة واللطف، مما جعل دعوته قريبة من القلوب. (al-Mūsá, 2002, 39, 49).

الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، إذ مثّل جانب الحكمة في أسلوبه التعليمي، فقد تميّز بحُسن ترتيب الأفكار، وإيضاح مسائل العلوم بأسلوب مُيسّر خالٍ من التعقيد، كما أن لديه مهارة عظيمة في تحليل المسائل الشائكة المعقّدة، لتصل ذهن الطالب في صورة جليّة واضحة، ورسائل طلابه، وتفريغهم لدروسه وطباعتها خير شاهدٍ على ذلك. (al-Zahrānī, 2001, 65).

الشيخ أحمد ياسين رحمه الله، جسّد مبدأ الصّبر والثّبات على المبدأ، فقد ظلّ- رحمه الله- ثابتًا في وجه الظّلم والاحتلال، وصابرًا على الأذى والتعذيب والأسْر، عاش مقعدًا مشلولًا، ومع ذلك حَمَل همَّ الدعوة والمقاومة، وربى جيلًا كاملًا على الإسلام والجهاد. (al'ffāny, 2004, 68).

الشيخ أحمد ديدات رحمه الله، تجلّت في مسيرته المناظرة والدّفاع عن العقيدة بالحجة والبرهان، إذ وهبه الله قوة في المناظرة، وبراعة في كشف الباطل بجرأة وشجاعة، فنجده قضى عمره في مناظرة كبار المُنصّرين، والتصدّي لحملات التبشير، والوقوف أمام تياراتٍ من الشّبهات الفكرية بقوة الدليل، وسعة الإدراك، محافظًا على هدوئه واتّزانه، وصابرًا على ما يَلقاه من ضغوط وتهديدات. (Abū Zayd, 2008).

الشيخ عبد الرحمن بن سميط رحمه الله، امتازت سيرته بجانب التَّضحية، والإحسان، وبذل الخير للناس بعيدًا عن الأضواء، فقد أفنى رحمه الله حياته في بلاد أفريقيا لخدمة الدعوة، وهداية الناس ونفعهم، متحمّلًا في سبيل ذلك مشاق السفر، والمرض، وشظف العيش، ومحاولات اغتياله. (alḥḍryty, 2020, 355).

وجميعهم- رحمهم الله- اجتمعوا على أصلٍ واحد، وهو صدق التوكّل على الله، وإخلاص النية له تعالى، والذي كان ثمرته تخليد آثارهم، وجَعل سيرتهم نماذج حيّة، تُستذكر دائمًا كمصدر قدوة وإلهامٍ للدُّعاة من بعدهم.

أظهرت تلك النماذج المعاصرة أن المنهج الإبراهيمي مدرسة متجددة في مختلف الأزمنة، لها أهميتها في بناء الدّاعية، من خلال غرس القِيم الإيمانية، والصّفات الفاضلة التي تؤهله لممارسة الدعوة بكفاءة.

الخَاتِمــة:

الحمدُ لله الذي هيّأ البِدءَ، وطيّب المُنتهى، وصلاةٌ وسلامٌ على النّبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، ومن اقتفى، وبعدَ بلوغ البحث غايته، يضع بين يديّ القارئ أهم ما توصّل إليه من نتائج، وما أسفر عنه من توصيات.

توصّل البحث إلى النتائج الآتية:

1. قَصصُ الأنبياء مادةٌ ثرّية للتفكير التأمليّ، ونماذجُ يُحتذى بها.
2. التّفكير التّأمليّ في قصص الأنبياء جميعها، أداةٌ قرآنية تساهم في تطوير مهارات الدُّعاة من خلال الفهم العميق لسيرتهم، ووسيلة لتحقيق أهداف الدعوة بكفاءة.
3. ممارسة التّفكير التّأملي تُمثّل منهجًا نبويًّا أصيلًا، وسمةً بارزة في منهج إبراهيم- عليه السلام- الدّعوي.
4. التّفكير التّأمّلي عند إبراهيم- عليه السلام- لم يعتمد على العقل وحده، بل جمع بين التفكير العقلي والتدبر القلبي في آيات الله الكونية والشّرعية، مما أكسب تفكيره توازنًا بينهما، بهدف الوصول إلى الحقائق، وترسيخ اليقين في قلب الدّاعية والمدعو على السّواء.
5. التّفكير التّأمّلي عند إبراهيم عليه السلام له صوره ووسائله المتنوعة، والتي تهدف إلى البحث عن الحقيقة، والوصول إلى اليقين، وإفحام الخصم، واستحضار النعم والاعتراف بها، مما يعكس البعد العقلي، والعمق الإيماني في دعوته.
6. من مظاهر التفكير التأمّلي عند إبراهيم- عليه السلام- النّظر في الظّواهر الكونية للوصول إلى الحقيقة، والحِوارُ العقليّ مع قومه في كشف عجز معبوداتهم من كل وجه، والجَدل المنطقيّ مع الملك النّمرود؛ لإثبات بطلان ادّعائه الألوهية، والتأمّل في كيفية البعث والإحياء، والتأمّل في الغاية والمعنى من الابتلاء، والتأمّل في الظّواهر غير المألوفة، والتأمّل العقليّ الإيمانيّ في قدرة الله الخارقة للعادة، والعمق الفِكري في دعائه.
7. خصائص التفكير التأملي في قصة إبراهيم - عليه السلام- تشمل: التحرر من التقليد. التَّدرج المنطقيّ في عرض الفكرة وإبطالها. إثارة التفكير عند الآخرين. الانتقال من التأمّل العقليّ إلى البرهان العملي. الحوار الجامع بين قوة الحُجّة، ولين الخِطاب. التّلازم بين العقل والإيمان. التوازن بين الدّين والدُّنيا.
8. التفكير التأمّلي، والإيمان القلبي، حقيقتان متلازمتان لا يُستغنى بأحدهما عن الأخرى، وباجتماعهما معًا تتحقق المعرفة بالله والخشية منه، والهداية إلى الصراط المستقيم.
9. التفكير التّأملي الإبراهيمي، يسهم في بناء وإعداد شخصية الداعية، من خلال الاقتداء بمنهجه القائم على: بناء القناعة الذاتية، ومحاورة الخصم بالحجة العقلية والجدل المنطقي، والثّبات على الحقّ، والقدوة العملية، والتدرّج في الأسلوب الدّعوي، الأمر الذي يُعزّز من كفاءة الدّاعية، والتأثير الإيجابي على المدعوين.
10. من صفات الدّاعية الإبراهيمي: التوكّل على الله عزّ وجلّ، الصَّبر والثّبات على المبدأ، الرّحمة واللّين والرّفق، حُبُّ الخير للناس، التَّضحية.
11. المنهج الإبراهيمي مدرسةٌ دعويّةٌ متجدّدةٌ في مختلف العصور، لها دورها في غرس القِيم الإيمانية، وترسيخ الصّفات الفاضلة في شخصية الدّاعية، والتي تؤهّله لأداء واجب العمل الدّعويّ على الوجه الأكمل.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/t17ev992

12. يُمثِّلُ إبراهيم - عليه السلام- أنموذجًا للتفكير التّأمليّ المتكامل من جميع جوانبه، فهو عقلٌ يتفكّر ليهتدي إلى الحق، وقلبٌ يتدبّر ليبلغ مراتب اليقين، وشخصية حليمةٌ رحيمة لتؤثّر في القلوب، فاستحَقَّ أن يكون أُمّــة.

ويوصِي البحث بالآتي:

1. استكمال هذا الموضوع في دراسة موسَّعة تتناول قَصَص الأنبياء الأخرى؛ للإسهام في تطوير المنظور القرآني للتفكير الدّعوي والفكري.
2. إدماج مفهوم التفكير التّأمّلي القرآني في مناهج التعليم الشرعي، ولا سيّما في أقسام التفسير، والدعوة، والدراسات الإسلامية.
3. إعداد برامج تدريبية للدُّعاة، تُعنى بمهارات التفكير التأملي.
4. الاستفادة من منهج التفكير التأملي في مواجهة الانحرافات الفكرية المعاصرة، من خلال تنمية قدرة الدارسين على النّقد البناء، والحوار الهادئ القائم على الدليل، وغيرها، والذي من شأنه أن يُسهِم في تصحيح المفاهيم المنحرفة.
5. تشجيع الجامعات على عقد النّدوات والمؤتمرات حول التّفكير التّأملي في القرآن الكريم، بوصفه منهجًا حضاريًا ودَعويًّا أصيلًا.

References:

Al-Qurʾān al-Karīm.

Abū Zahrah, M. (2004). *Zahrat al-tafāsīr*. Dār al-Fikr al-ʿArabī.

Al-Aṭrash, Ṭ. ʿU. (2016). Mustawā al-qudrah ʿalā al-tafkīr al-taʾammulī ladā muʿallimī al-ʿulūm fī al-marḥalah al-asāsiyyah bi-Ghazzah. *Majallat Jāmiʿat al-Azhar*, *13*(1), 1329–1370.

Al-Albānī, M. N. al-D. (1995). *Silsilat al-aḥādīth al-ṣaḥīḥah wa shayʾ min fiqhihā wa fawāʾidihā*. Maktabat al-Maʿārif.

Al-Bukhārī, M. (2001). *Al-jāmiʿ al-musnad al-ṣaḥīḥ al-mukhtaṣar min umūr rasūl Allāh wa sunanihī wa ayyāmihī* (Vol. 1). Dār Ṭawq al-Najāh.

Al-Jurjānī, ʿA. (1983). *Kitāb al-taʿrīfāt* (Vol. 1). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Al-Kafawī, A. (D.T.). *Al-kulliyyāt*. Muʾassasat al-Risālah.

Al-Kubaysī, I. (2017). *Darajat imtilāk muʿallimī al-lughah al-ʿArabiyyah li-mahārāt al-tafkīr al-taʾammulī wa mumārasātihim lahu fī al-Urdunn* (Unpublished master's thesis). Jāmiʿat Āl al-Bayt.

Al-Mājid, A. (2021). Muqawwimāt al-dāʿiyah al-muslimah: Dirāsah Qurʾāniyyah min khilāl qiṣṣat Ibrāhīm. *Ḥawliyyāt Kulliyyat al-Daʿwah al-Islāmiyyah bi-l-Qāhirah*, *24*(2), 167–211.

Al-Muṭayrī, Ḥ. (2022). Istikhdām uslūb al-tafkīr al-taʾammulī fī al-daʿwah. *Majallat Jāmiʿat al-Malik Khālid lil-ʿUlūm al-Sharʿiyyah wa al-Dirāsāt al-Islāmiyyah*, *19*(3), 45–79.

Al-Naḥlāwī, ʿA. al-R. (2007). *Uṣūl al-tarbiyah al-islāmiyyah wa asālībuhā fī al-bayt wa al-madrasah wa al-mujtamaʿ* (25th ed.). Dār al-Fikr.

Al-Qaradāwī, Y. (D.T.). *Fiqh al-awlawiyyāt: Dirāsah jadīdah fī ḍawʾ al-kitāb wa al-sunnah*.

Al-Qurṭubī, M. (1964). *Al-jāmiʿ li-aḥkām al-Qurʾān* (Vol. 2). Dār al-Kutub al-Miṣriyyah.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/t17ev992

Al-Rāghib al-Aṣfahānī, al-Ḥ. (1991). *Al-mufradāt fī gharīb al-Qurʾān* (Vol. 1). Dār al-Qalam; al-Dār al-Shāmiyyah.

Al-Rāzī, F. al-D. M. (2000). *Mafātīḥ al-ghayb* (Vol. 3). Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

Al-Raysūnī, A. (D.T.). *Naẓariyyat al-maqāṣid ʿinda al-imām al-Shāṭibī.*

Al-Suyūṭī, ʿA. al-R. (1996). *Al-dībāj ʿalā Ṣaḥīḥ Muslim ibn al-Ḥajjāj* (Vol. 1). Dār Ibn ʿAffān.

Al-Ṭabarī, M. (2000). *Jāmiʿ al-bayān ʿan taʾwīl āy al-Qurʾān* (Vol. 1). Muʾassasat al-Risālah.

Al-ʿUthaymīn, M. (2002). *Tafsīr al-Fātiḥah wa al-Baqarah* (Vol. 1). Dār Ibn al-Jawzī.

Deming, W. E. (1986). *Out of the crisis*. MIT Press.

Ibn ʿĀshūr, M. (1984). *Taḥrīr al-maʿnā al-sadīd wa tanwīr al-ʿaql al-jadīd min tafsīr al-kitāb al-majīd*. al-Dār al-Tūnisiyyah lil-Nashr.

Ibn al-Munīr, A. (1966). *Al-inṣāf fīmā taḍammanahu al-Kashshāf.* Sharikat Maktabat wa Maṭbaʿat Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī wa Awlāduh.

Ibn al-Qayyim, M. (1996). *Madārij al-sālikīn bayna manāzil iyyāka naʿbudu wa iyyāka nastaʿīn* (Vol. 3). Dār al-Kitāb al-ʿArabī.

Ibn al-Qayyim, M. (D.T.). *Miftāḥ dār al-saʿādah wa manshūr wilāyat al-ʿilm wa al-irādah*. Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Ibn Ḥibbān, M. (1993). *Ṣaḥīḥ Ibn Ḥibbān*. Muʾassasat al-Risālah.

Ibn Ḥumayd, Ṣ. (Ed.). (D.T.). *Naḍrat al-naʿīm fī makārim akhlāq al-rasūl al-karīm* (Vol. 4). Dār al-Wasīlah.

Ibn Kathīr, I. (1999). *Tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm* (2nd ed.). Dār Ṭayyibah.

Ibn Rajab, Z. al-D. ʿA. al-R. (2004). *Jāmiʿ al-ʿulūm wa al-ḥikam fī sharḥ khamsīn ḥadīthan min jawāmiʿ al-kalim* (2nd ed.). Dār al-Salām.

Ibn Fāris, A. (1979). *Muʿjam maqāyīs al-lughah*. Dār al-Fikr.

Ishikawa, K. (1985). *What is total quality control?* Prentice Hall.

Juran, J. M. (1998). *Juran's quality handbook*. McGraw-Hill.

Muslim al-Naysābūrī. (D.T.). *Al-musnad al-ṣaḥīḥ al-mukhtaṣar bi-naql al-ʿadl ʿan al-ʿadl ilā rasūl Allāh*. Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

Ṭanṭāwī, M. (1997). *Al-tafsīr al-wasīṭ lil-Qurʾān al-karīm* (Vol. 1). Dār Nahḍat Miṣr.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/t17ev992

Tegmark, M. (2017). *Life 3.0: Being human in the age of artificial intelligence*. Knopf.

Russell, S. J., & Norvig, P. (2020). *Artificial intelligence: A modern approach*. Prentice Hall.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.